الأهرام

P11
الأهرام
٢٠١٩/١٠/١٦

تقرير من أمريكا!

د. عبد المنعم سعيد

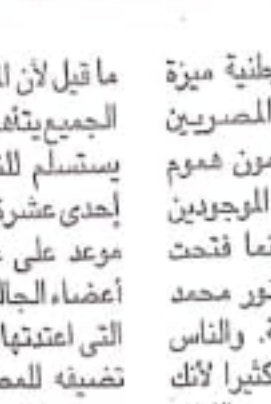

غادرت القاهرة إلى نيويورك يوم الاثنين ٢٣ سبتمبر على متن طائرة شركة مصر للطيران - التى لم أجد سببا وجيها لارتفاع أسعار تذاكرها مقارنة بما اعتدت عليه من شركات. ولكن يظل لشركتنا الوطنية ميزة أن تكون بصحبة جماعة من المصريين على ارتفاع ٣٥ ألف قدم يتقاسمون هموم مصر، التى لا أظن أن أحدا من الموجودين قد تركها فى المقام الأول. وحينما فتحت عينى وجدت إلى جوارى الدكتور محمد عمران رئيس هيئة الرقابة المالية. والناس فى الحقيقة نوعان: واحد تأسف كثيرا لأنك لا تلقاه بما يكفي؛ وآخر تشبع معه الكلام حتى بات الأمل تقلص زمن اللقاء. الدكتور كان من النوع الأول بامتياز، وكما هى العادة جرى الحديث عن أحوال البلاد، ولكن أكثر ما لفت نظرى مقترح له بانضمام مصر إلى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية التى تضم الدول الصناعية المتقدمة. هو ماكينة توليد الكثير من الأفكار البناءة التى تأخذ بيد مصر لكى تضعها فى المكان الصحيح والذى يليق بها فى صفوف السابقين عليها فى عام ٢٠٢٥. الفكر وراء ذلك ينبع من الفكرة المصرية الأصيلة أن من جاور السعيد يسعد، وهى فكرة طالما رددها بكلمات أخرى الأستاذ الدكتور بطرس بطرس غالي: إذا أردت أن تكون قويا فكن دائما بين الأقوياء. لا أدرى متى انتهى الحديث مع صاحبى فقد استرسلت الأفكار التى ربما أعود لها فى مقال آخر، وبالتأكيد فإننى سوف أعرض للمشروع الذى ينتمى إلى الجماعة التى تنظر لمصر ليس كمجمع للغلابة وإنما كتجمع طموح وغنى وعفى وقادر على المنافسة فى دنيا لا يوجد فيها إلا الأقوياء.

وصلنا إلى مطار جون كيندى الدولى وهو المطار الذى حاولت دائما تفاديه نظرا لزحامه الشديد، وطوابيره الممتدة، وكثرة ما فيه من أمن وكلاب تبحث عن المخدرات والإرهابيين. لم يختلف الأمر كثيرا فى المطار كما عهدته منذ سنوات إلا من أمر واحد بات يشكل فارقا كبيرا. كان الطابور طويلا نعم، ولكنه كان يتحرك بسرعة كبيرة سرعان ما عرفنا سببها وهو وجود الات كثيرة تقف أمام واحدة منها وتطبق التعليمات الواضحة عليها خطوة بعد الأخرى فإذا بك قد أنهيت ورقيا دخولك إلى الولايات المتحدة بعد أن ينظر إليك رجل أمن لنصف دقيقة ويتأكد من سبب عبورك المحيط ثم يختم جواز سفرك. أنت فى هذه اللحظة لم تدخل إلى العالم الذى كان جديدا فقط وإنما أنت قد دخلت إلى عالم الذكاء الاصطناعي. ما جرى تحديدا أنه بمجرد وقوفك أمام عدسة الآلة الجهنمية فإن صورة سعادتك قد مرت بعشرات وربما مئات من قواعد البيانات التى فيها نوع من الفيش والتشبيه وكذلك حساباتك البنكية وكلها تؤكد أنك مواطن صالح فى جمهورية مصر العربية وفى العالم أيضا.

وهكذا التقت جماعة المركز المصرى للفكر والدراسات الإستراتيجية على أرض مطار كيندى لكى تأخذنا سيارة كبيرة إلى الفندق واستغرقت الرحلة ساعتين. ومن كان يشكو من زحام مرور القاهرة فإن عليه أن يمر بزحام مرور نيويورك. قيل لنا إن السبب هو موعد انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة، وحضور العديد من قادة الدول، ولكننى لم أصدق كثيرا ما قيل لأن المدينة هكذا فى كل الأوقات. وبينما الجميع يتأهب للقاء المدينة التفاحة، أو ببساطة يستسلم للنوم بعد رحلة طويلة استغرقت إحدى عشرة ساعة ونصف الساعة كان هناك موعد على عشاء مع شخصين مهمين من أعضاء الجالية المصرية. فى مثل هذه اللقاءات التى اعتدتها من قبل فإنه لا يوجد لديك الكثير تضيفه للمصريين فى المهجر، فهم فعليا يعرفون كل شيء من أنباء وشائعات ونميمة؛ ورغم أنهم يسألونك عن رأيك فى أمور شتي، فإن الحقيقة هى أن لديهم آراء متبلورة فى كل موضوع. السؤال المعلق دائما فى جلسة المصريين فى الخارج هو لماذا لا تكون مصر مثل أمريكا بسيطة وسلسة ومنطقية؟ كانت الموجة التى ولدها المقاول الفنان لا تزال فى أولها، وكان مشجعوها من الإخوان يعتقدون أنها المقدمة الطبيعية لثورة جديدة، فكان هناك قدر ملحوظ من القلق على مصر ومستقبلها. قدمنا ما نستطيع من تحليلات بعد الحصول على جرعة كبيرة من الود والكرم.

كان لدينا عمل كثير نقوم به استعدادا لليوم التالى الذى كنا سنقضيه فى قاعة جامعة برنيستون بالمدينة حيث تدور ورشة عمل عن مصر، أولا عن رؤيتها لمنطقة الشرق الأوسط وثانيا عن مصر ذاتها وما يجرى فيها. كان المقابل الأمريكى لنا فى هذا اللقاء هو معهد الشرق الأوسط فى واشنطن وهو أحد المعاهد العريقة التى اهتمت بمنطقتنا وله مواقف ناضجة من الأحوال فيها. ما جرى فى الحديث يوم الأربعاء ٢٥ سبتمبر دار من ثلاثة متعلقات: المنطلق الليبرالى الديمقراطى الذى يقيس ما يحدث فى دول المنطقة بعدى القرب أو البعد عن هذا النموذج، ومنطلق الصدمة أو الكارثة التى تتبع الثورة أو الحرب الأهلية ويكون للقياس فيها مدى التعافي، ومنطلق الدولة الوطنية القوية مثل الصين وكوريا الجنوبية حيث يكون الحشد للموارد القومية سببا للتقدم. تفاصيل ذلك كثيرة وربما نعود لها فى يوم آخر.

افترق الجمع بعد ذلك، وكان لدى خطط أخرى منها الذهاب إلى مدينة برينستون حيث الجامعة الشهيرة حيث قضيت وقتا مع أصدقاء، كان الحديث عن مصر مختلفا بما يلائم السن والخبرة والمرور بعصور شتى قلقة هى الأخرى. وكانت المحطة التالية هى واشنطن للمشاركة فى ندوة عن دبلوماسية البترول الذى كان معرضا لصدمة كبرى بضرب المنصات النفطية السعودية. حرب أو لا حرب كانت هى المسألة ولا تزال، وكان نصيبى من الكلام عن الجغرافيا السياسية وخلاصتها كانت أن السيد ترامب لم يعد حليفا يعتمد عليه. ما بقى كان عملا روتينيا لاجتماع مجلس إدارة معهد دول الخليج العربية فى واشنطن. انتهت الزيارة فى هيوستون، ولكنها من أولها إلى آخرها كان الدائر فى الإعلام الأمريكى قصة إقامة الادعاء على ترامب.

Scanned with CamScanner